إطلالة

خسرت الصحافة الغربية مصداقيتها حين تورّطت بنشر أخبار كاذبة، ومن دون تأكّد، عن «جرائم» ارتكبتها المقاومة، ثم إنها اضطرت إلى الصمت والمراوغة كي لا تكشف زيفها، لتكون بذلك قد فرّطت بحرّيتها التي لطالما دافعت عنها طويلاً في وجه حكوماتها

الكذبة الصهيونية ومُروِّجوها الغربيّون

حرّية البحث عن الحقيقة

فوّاز حداد

يُمكن تحديد تاريخ السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023، بأنه اليوم الذي سجّل اندلاع أكبر مُواجهة عسكرية بين حركات المقاومة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي في غزّة، وكان أيضاً بداية أخرى، إضافية وصارخة لانكشاف وسائل الإعلام الغربية، بعد تاريخ طويل من التحيّز في الصراع العربي الإسرائيلي، ومن بعده ضدّ الشعب الفلسطيني في أرضه المحتلة. وفي المرحلة الأخيرة ظهر جلياً بمحاولات دؤوبة خلال العدوان على غزّة، وكانت في تقييد نقل الخبر، وإخفائه والتلاعُب فيه إلى حدود لا يُستهان بها، بلغت درجة تزييفه، باختلاق اتّهامات بجرائم تُشوّه صورة المقاومة عن تعمُّد صارخ. يُمكن القول، إنّ «طوفان الأقصى» وُجِهَ بطوفانٍ من الأكاذيب.

إنّ مهنة الإعلام بأنواعها، خصوصاً الصحافة المعروفة بالبحث عن المتاعب، تُحيلنا إلى المشاقّ التي يتحمّلها الصحافيّون والعاملون في وسائل الإعلام بحثاً عن الحقائق، غدت في ظلّ الهيمنة الغربية ليست بحثاً عن الحقائق، بقدر ما هي اختراعٌ الأكاذيب وتلفيق الذرائع لإخفاء الحقيقة.

لن نتطرّق إلى وسائل التواصل الاجتماعي، التي ساهمت بنشْر كمّية هائلة من المُغالطات والإشاعات، فالذُّباب الإلكتروني متنوّع الجنسيّات والمُموَّل من مؤسّسات وجهات عدّة معروفة ومجهولة، أسفر عن غضّ النَّظر من الحكومات، إنْ لم يكن بتأييدها، ما يساعد سياساتها على التسرّب إلى الفضاء الإلكتروني من خلال دعاوى وادّعاءات شعبوية ضدّ العرب وفلسطين والإسلام، والتحريض عليها، بينما كان النشطاء المتعاطفون مع غزّة تحت رقابة مُنحازة ضدّ المقاومة على حسابات «فيسبوك» و«إكس» (تويتر سابقاً).

شكّلت تدخُّلات الغرب في حرّية التعبير امتحاناً، سقط فيه، بأزمة تجاوزت المنطقة العربية وأصبحت دولية. كانت السيطرة على وسائل الإعلام تعاد أن تكون مُتكاملة، وأيّ خروج عنها يتعرّض الفاعل للعقوبة، إن لم يُجبر على تقديم استقالته، أو طرده أو التعرُّض للمُضايقة، وهو ما حدث أيضاً في الجامعات والوظائف العامة، لم تُستثنَ منه القنوات التلفزيونية، ظهر التأثير في المقابلات السياسية، والتضليل في نشرات الأخبار. ولم يكن الخروج عن هذه الظواهر القمعيّة قويّاً ومؤثّراً إلا في المظاهرات، فالشوارع وحدها منحت المحتجّين حرّية التعبير.

تبدأ صناعة الأكاذيب في «إسرائيل»، هناك مصدرها، ويجري توزيعها إلى أوروبا وأميركا. أوّل من تبنّاها الرئيس جو بايدن بالذات، وعمل على ترويجها، فوصف عملية السابع من تشرين الأول/ أكتوبر بأنها أشبه بهجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001 في نيويورك، بذلك نسَب «حركة حماس» إلى «تنظيم القاعدة»، والأقرب إلى «داعش»، وكرّر أكثر من مرّة بأن «حركة حماس» تستهدف اليهود، ما أحال المقاومة إلى مُنظّمة نازيّة، وحوّل «طوفان الأقصى» إلى «هولوكوست»، بينما كان جيش الاحتلال الإسرائيلي ينفّذ مجازره في غزّة، وكانت العمليات الهمجيّة التي لا تقلّ عن «هولوكوست» مُستمرّة على مدار الساعة.

تلك كانت إحدى المرّات النادرة في غرابتها، حيث قيّدت الصحافة نفسها بتعليمات الحكومات واللّوبيات ورجال المال والأعمال، وتصرّفت على الضدّ من حرّياتها إلى حدّ باتت تأخذ أخبارها من الناطقين المُعتمدين في إدارات الدَّولة، والمُثير للسُّخرية أنّ الصحافة أصبحت تستمدّ رؤيتها منهم، وليس مما يحدث على الأرض، فـ«إسرائيل» عدا أنها وضعت مُراسلي القنوات التلفزيونية تحت الرقابة العسكرية، منعتهم من نقل مُجريات الحرب في غزّة بمنعهم من الدخول إليها. أمّا المركز الرئيسي لنشر الأكاذيب، فكان في واشنطن، عندما وقف المتحدّث باسم «مجلس الأمن القومي» في «البيت الأبيض»، جون كيربي، وهو أميرال سابق، غيْر من قبل ناطقاً في الإدارة الأميركيّة مرّة باسم «البنتاغون» وأخرى باسم وزارة الخارجية؛ ونظراً لـ«مواهبه» أعطي مسؤوليّات أكبر، ليقول: «أريد أن أكون واضحاً، وأعرف أنني قلتها مليون مرّة، إن الأرقام الصحيحة لعدد الضحايا المدنيّين في غزّة هو صفر، ولم نر دليلاً على قيام إسرائيل بإبادة جماعية».

هذا الرجل ليس أحمقاً، لم يُسنَد إليه هذا المنصب الحسّاس ليُجيب عن أسئلة من مُراسلين مُخضرمين لجرائد كبرى، تتطلّب الدِّقّة، ولم تكن هذه الدِّقّة، إلّا قدراته على التلاعُب بالكلام. المطلوب منه، عدم إدانة «إسرائيل» على القصف العشوائي، والتأكيد بكلّ ثقة أنها لم ترتكب أيّة مُخالفة، من ناحية عدم التمييز بين مُقاتلين ومدنيّين، فهو مُكلّف بأن يُفهمنا أنّ آلاف الضحايا ليسوا من المدنيّين، وكأنّ أيّ إنسان فلسطيني ليس مدنيّاً، حتى لو كان شيخاً أو امرأة أو طفلاً، بل مجرّد هدف للقتل، على الإنسان الفلسطيني ألّا يكون له وجود إلّا كضحيّة لا حساب لها. ومثله الادّعاء بأن واشنطن لم تزر دليلاً على ارتكاب «إسرائيل» إبادة جماعية، ولو أنّ العالم كلّه رأى. إنّ الفضاء مفتوح، الجميع يعرفون، وكلّهم يرون.

تخسر صحافة الغرب من ناحية أساسية المصداقية، بتورُّطها بنَشْر أخبار مزعومة، ومن دون تأكُّد، عن جرائم ارتكبتها «حركة حماس»، حتى إنها اضطرّت إلى الصمت عن نشرها تلك الأخبار، ومحاولة المراوغة لولا وُرود تقارير من الداخل الإسرائيلي تنفيها، فالكذب لم يعُد للكذب، وإنما ذريعة لقيام «إسرائيل» بتنفيذ أفظع المجازر.

كما وبالدرجة الأولى، تخسر الصحافة الحرّية، حرّية البحث عن الحقيقة، وهو حقّ ممنوح لكافة وسائل الإعلام، المطبوع منها والإلكتروني، حرّية يكفلها الدستور والقانون، تضمن عدم تدخّل الدَّولة، في حين تضرب بهذه الحرّية عرض الحائط، ومعها بالحقيقة، كذلك الحقّ الذي منحته إيّاه ليس الدَّولة، وإنما عقود طويلة من الزمن في الدّفاع عن حرّياتها ضدّ الدَّولة بالذات.

وسائل إعلام مُقيّدة بالحكومات واللوبيّات ورجال المال

الكذب لم يعُد للكذب، وإنما ذريعة لتنفيذ أفظع الإبادات

من احتجاج امام مقر «بي بي سي» في غلاسكو للتنديد بانحياز القناة للسردية الصهيونية، 14 تشرين الاول/ اكتوبر 2023 (Getty)

مزيد من الانحطاط الغربي

يمكن القول في سياق تغطية الإعلام الغربي للعدوان الاسرائيلي على غزّة، إنّنا لم نشهد هذا القدر من الكاذيب منذ ظهور الانسان الناطق، وكأنّ هذا الانسان لم يتعلّم النطق إلّا ليكذب، مثلما لم تصل السياسة لهذا الدرك المنحطّ إلّا في هذا الوقت، وكأنها توكّد على سمعتها السيّئة، بخاصة انّ المعمل المنتج لهذه السياسات يتمركز في الدول الديمقراطية، وكأنما حرّية الرأي خدمة (الصورة: من احتجاج امام مبنى «نيويورك تايمز»).

مشاهدة

غسان أبو ستّة 43 يوماً في قلب الإبادة

عن غزّة بلسان طبيبها

تحدّث الطبيب الفلسطيني في حلقة بُثّت مؤخّراً من بودكاست «بدون ورق» عن تجربته في إنقاذ الجرحى، وشهاداته على مجزرة «المستشفى المعمداني»

الكويت ـ **العربي الجديد**

تُشكّل تجربة الطبيب الفلسطيني غسّان أبو ستّة (1969) شهادة تاريخية على جرائم الإبادة الصهيونية في غزّة، حيث وثّق، خلال تنقّلاته بين مستشفيات القطاع، مشاهد النضال اليومي الذي تُقدّمه الكوادر الطبية في وجه آلة القتل الإسرائيلية، منذ الأيام الأولى للعُدوان ولاحقه عند مؤرّخ صهيوني مثل بيني موريس الذي أشار إلى أنّه كان يجب القضاء الكامل على السكّان الأصليّين عام 1948، أسوة بمشاريع الاستيطان الأوروبي السابقة».

ولفت أبو ستّة في حديثه إلى مجزرة «المستشفى المعمداني»، في السابع عشر من أكتوبر/ تشرين الأوّل 2023، حيث كان المستشفى قد تحوّل إلى مركز لإيواء العائلات النازحة من القصف. و«عند السادسة والنصف من مساء ذلك اليوم، حدث انفجار هائل في المستشفى حيث كنتُ موجوداً. ومن شدّة الانفجار سقط السقف علينا، وعندما خرجنا إلى الساحة وجدناها مليئة بالجُثث والأطراف المبتورة، ورحتُ أحاول إنقاذ ما يُمكن إنقاذه، بينما تعلو أصوات العويل من حولي، وبعدها انتقلنا إلى مستشفى الشفاء الذي بدا يتلقّى أعداداً هائلة من المُصابين والشُّهداء، وفي نهاية ذلك النهار وصل العدد إلى 483 شهيداً».

واعتبر أبو ستّة «أنّ الرسالة الإسرائيلية للمجتمع الدولي من قصف المعمداني كانت واضحة، وهي أنّ عدم الردّ السريع والفوري على هذه الجريمة، سيُعطي الضوء الأخضر لإسرائيل حتى تُتابع إبادتها».

وقال المتحدّث إنّ الاحتلال لم يتجنّب في قصفه أي قطاع حيوي في غزّة، وبالتالي «لم يقتصر الدّمار الشامل على المؤسّسات الصحّية، بل شمل بطبيعة الحال المواقع التاريخية والثقافية»، وأشار أيضاً إلى قطاعات خطف الجثامين، وسَلخ الجلود التي عمد الجيش الصهيوني إلى ارتكابها بصورة بربرية، وكذلك صعوبات التعامل مع الأطفال الخُدّج، وتوليد النساء في ظروف لا إنسانية.

ثلاثة وأربعون يوماً قضاها الطبيب في مواجهة الإبادة المفتوحة، ولكنّ آثارها النفسيّة عليه وعلى كلّ الشعب الفلسطيني، بل وعلى القضية بذاتها، ستكون أطول بكثير، فالعُدوان اتّخذ شهره الرابع ولم ينتهِ بعد. وحين جاء قرار الخروج من غزّة لم يكن سهلاً على غسّان أبو ستّة ذلك، كما أوضح وهو يختم حديثه بغصّة: «تقف أمام مشاهد الجرحى والشهداء وأنت تشعر نفسك مُكبّلاً، ولا تستطيع التدخّل بسبب شحّ ونفاد المواد الطبّية».

قصف «المعمداني» أعطى الضوء الأخضر لتوسيع الإبادة

غسّان أبو ستّة أثناء الحلقة

متابعة

الأزهر وثائق ورسائل من عام النكبة

طريق لإنقاذ فلسطين

يعيد الأزهر نشر وثائق ورسائل تعود أقدمها إلى عام 1948، حيث اجتمع مئات الأزهريين وأصدروا بياناً يدعو إلى مواصلة المقاومة لإنقاذ فلسطين

القاهرة ـ **العربي الجديد**

في عام 1948، أرسل رجل الدين العراقي محمد محمود الصوّاف (1915 - 1992) برقية إلى مشيخة الأزهر، تتحدّث سطورها عن استعداد المجاهدين العراقيين للقتال في فلسطين، وهو ما توثّقه الوقائع لاحقاً حيث أسّس الصوّاف «جمعية إنقاذ فلسطين»، وذهب للقتال مع ثلاثة أفواج من المتطوعين خُرجوا من العراق.

البرقية التي أعاد الأزهر نشرها في جناحه بـ«معرض القاهرة الدولي للكتاب»، الذي تُختتم فعاليات دورته الخامسة والخمسين اليوم الثلاثاء، ضمن ستّ وثائق تعود إلى تلك الفترة، تُشير إلى اجتماع ألوف المصلّين في «جامع الإمام الأعظم» ببغداد في مؤتمر كبير جدّدوا خلاله العزم على بذل الأنفس والنفائس في سبيل فلسطين، و«مترقّبين العمل الحاسم داعين إلى الله بالنصر العزيز»، كما يختتم الصوّاف برقيته.

في وثيقة ثانية، يوجّه شيخ الأزهر محمد مأمون الشناوي (1878 - 1950) دعوة إلى هيئة كبار العلماء في منزله بحيّ الجلمية الجديد في القاهرة للاجتماع في الثاني عشر من كانون الأول/ ديسمبر 1948، لمناقشة ما آلت إليه الأوضاع في فلسطين. وقد أصدر أكثر من مئتي أزهري ممّن شاركوا في ذلك الاجتماع بياناً يُتيحه الأزهر ضمن الوثائق أيضاً، يدعون فيه ملوك ورؤساء الدول العربية، والشعوب العربية والإسلامية، وقادة الرأي فيها، لتضافر القوى ويجتمع ما تفرّق من الشمل لإنقاذ فلسطين من العصابات الصهيونية، محذّرين من إنشاء دولة يهودية «يمتدّ سلطانها وتتحكّم قوّتها في الدول العربية كافة، وفي البقاع المقدّسة عامة».

وحثّ البيان على مواصلة الجهاد بقوله: «سيروا أيها العرب على بركة الله في الطريق الذي رسمتموه لإنقاذ فلسطين»، مُضيفاً «فكونوا على بيّنة من أمركم، وعلى هدىً من ربكم، واحسموا الدّاء، ولا تدعوا أسلحتكم حتى تنقذوا أوطانكم من هذا الخطر الداهم والشرّ المُستطير».

لكن هذه الوثيقة تنطوي أيضاً على رفض لـ«مؤتمر أريحا» الذي أعلن فيه الملك عبد الله الأول ملكاً على الأردن وفلسطين، وأتت في سياق التنافس بين عمّان وبين القاهرة بعد النكبة، حيث سعت الأولى إلى ضمّ ما تبقى من فلسطين بعد احتلالها إلى الأردن في إطار وحدوي، بين دعمت الثانية قيام حكومة عموم فلسطين في غزّة والتي تمّ حلّها رسمياً عام 1959.

وينشر الأزهر وثيقة تتضمّن قراراً لـ«المعهد السكندري»، أحد المعاهد الأزهرية، بتشكيل لجنة سمّاها «لجنة إنقاذ فلسطين»، كان دورها جمع التبرعات لتزويد أهل فلسطين بأموال لمساعدتهم، وأصدرت هذه اللجنة نداءً عالمياً أكّدت خلاله ضرورة الوقوف بجانب الشعب الفلسطيني ومساندتهم في محنتهم. إلى جانب وثيقة تمثّل رسالة بعثت فيها مديرة «مدرسة فلسطين الثانوية للخطوط الأمامية» في عمّان إلى مشيخة الأزهر في التاسع عشر من تشرين الأول/ أكتوبر 1970، تطلب زيادة المنح الدراسية لطلبتها في «جامعة الأزهر» عبر تخصيص خمس عشرة منحة إضافية للاجئين الفلسطينيين في الأردن، وتزويد المدرسة أيضاً بمجموعة من الكتب.

يدلّ محتوى الوثائق على تنبّه مُبكّر لضرورة المقاومة في فلسطين

من مظاهرة في باحة الأزهر نصرةً لفلسطين، 20 تشرين الأول/ أكتوبر 2023 (Getty)

فعاليات

المخطوطات الإندونيسية عنوان محاضرة تحتضنها «مكتبة قطر الوطنية»، عند الثالثة من بعد ظُهر الاربعاء، الحادي والعشرين من فبراير/شباط الجاري، وفيها يتحدّث اللغوي **عُمان فتح الرحمن** عن المخطوطات والخطّ العربي في اندونيسيا، والصلات الثقافية بين العالم العربي والإسلامي ومنطقة جنوب شرقي آسيا.

تَعرض «مؤسّسة شومان» في جبل عمّان، عند السادسة والنصف من مساء اليوم، فيلم **التحريك الإسباني الفرنسي «جوزيب»** (2020) للمُخرج **اوريك**. تدور احداث العمل (17 د) خلال الحرب الاهلية الاسبانية؛ حيث سُجن المقاتلون الجمهوريّون الفارّون من ديكتاتورية فرانكو في معسكرات اعتقال بفرنسا؛ وفي احدها تنشأ صداقة بين فنّان إسباني وحارس فرنسي يعطيه اوراقاً للرسم.

في «مكتبة تنمية» بالقاهرة، يتواصل، حتى بعد غد الخميس، معرض **مقتنيات امل دنقل**. يضمّ المعرض، الذي افتتح مطلع الشهر الجاري، عددا من المقتنيات والمتعلّقات الشخصية للشاعر المصري (1940 - 1983)؛ من بينها مخطوطات قصائد بخطّ يده، وكتب ولوحات تشكيلية ورسائل وصور فوتوغرافية تُعرض للمرّة الأولى.

حتى السبت المُقبل، تستمرّ في «مدينة الثقافة» بتونس العاصمة، فعاليات الدورة الخامسة من **أيام قرطاج لفنون العرائس**. تحمل هذه الدورة اسم الفنّان التونسي الراحل **الأسعد محواشي**، وتشهد مشاركة نحو مئة فنّان من تسعة عشر بلداً؛ من بينها إيطاليا ضيف الشرف؛ حيث يقدّمون قرابة 55 عرضاً في مسرح العرائس.